

إخوان المهجر.. جيل النصر أم الشتات؟

كتبه حسام سلام | 5 مارس، 2017



عن المُشردين بين المنافي وشتات الأرض، الباحثين عن وطنٍ آمِنٍ في عالمٍ مجنونٍ، عن شباب الإخوان الذين فرّوا من جحيم مصر بعدما حُصروا بين رصاصةٍ في الصدر وخنجرٍ في الظهر! بعدما صاروا بين شهيدٍ وأسيرٍ ومُطارِدٍ، صار هناك خيارًا رابعًا: الهجرة.

شبابٌ في مُقبل أعمارهم لم ينعموا بطيش شبابهم، وشيوخٌ لم يحلموا بغربةٍ جديدةٍ في آخر العُمر، والأقصى، طلابٌ فصلتهم جامعاتهم أو طاردتهم، فخيرتهم بين السجن أو المنفى، سيقطعون الآن تلك الصحراء المُقفِزة إلى السوادن، فمنهم من يعلّق فيها ولا يستطيع الخروج، ومنهم من تكون محطة لرحلة أخرى أو رحلات أخرى لا تنتهي بحثًا عن الحياة!

أصبح المُستقبل بالنسبة للجميع أسودًا، لا ملامح له، انهارت أحلامهم؛ فتركوها أنقاضًا تحت مُجنزرات دبابات الجنرال المعتوه، خرجوا ينزفون ألماً من فقد حبيبٍ وصديقٍ، الهزيمة كانت مُرة وسريعة، لم تصمد خيمتهم في وجه السيل، اقتلعتها الريح وأغرقها الموج، يتسللون عبر الحدود فازّين، يخرج أحدهم كموسى خائفًا يترقب، ولا أهل مدين يأونه! ينظر حوله فلا يرى غير أنقاض جماعته، يتشاجرون بما تبقى من حُطام سفينتهم التي خرّوها بأيديهم، يُظلم بعد ظلمٍ، ولكن ظلم الحبيب أقسى وأنكى.

مئاتُ الطلاب، بل آلافُ يعانون من أزماتٍ ماليةٍ ليستكملوا دراستهم بعدما تأخروا سنين دراسية، بعضهم ضاعت سنوات جامعتهم الأربعة ولم يزل في الفرقة الأولى! يطلب مالاً من هذا وذاك

مئاتُ الطلاب، بل آلافُ يعانون من أزماتٍ ماليةٍ ليستكملوا دراستهم بعدما تأخروا سنين دراسية، بعضهم ضاعت سنوات جامعتهم الأربعة ولم يزل في الفرقة الأولى! يطلب مالاً من هذا وذاك، فيُصيب ما يربط معه حزاماً على بطنه علَّ حفنة الدولارات تلك تكفيه شهور دراسته.

السودان، تركيا، قبرص، ماليزيا، وجهاتٌ أربعة لراغبي استكمال دراستهم الجامعية، السودان بلدُ العالِقين الذين لم يستطيعوا الخروج منها لأسبابٍ مُختلفة، فلا أحد يَرجو أن يعيش في بلدٍ فقيرٍ يُعاني من العقوبات كالسودان، تركيا الحلم الذي يداعب مُخيلة الجميع، بلدٌ جميلٌ، وعملٌ في قناةٍ إعلامية من “قنوات الشرعية”، وتودُّدٌ لبعض القيادات يُقيم به حياته، قبرص مجرد محطة لتركيا، وماليزيا بعيدة بعض الشيء.

لا يوجد رقمٌ دقيقٌ بعدد أولئك الطلاب المهاجرين، ولكن يُقدِّرون بالآلاف، آلافُ عالِقون بين نزيفٍ ألمٍ خرجوا به من مصر لا يتوقف، ومشاكل اقتصادية طحتهم وهم ما زالوا في مُقبل حياتهم، وخذلان جماعتهم التي تنكرت لمن خالف رأي قياداتها التاريخية المانحة والمانعة لحقهم في كفالة الجماعة لهم بعدما ضحوا في سبيلها.

السؤال الذي يَؤرق الجميع هنا: وماذا بعد؟ هل هذه هي النهاية؟ سنعيش هنا في شتات الأرض، لن نعود للديار، للأهل والصحب والرفاق، لحلمنا الذي حلمناه في ثورتنا منذ 6 سنوات؟ لن نرى العدل في وطننا المظلوم، لن نُصحي في سبيله، هل كرهناه حقاً أم أنها مرارة الهزيمة والخذلان؟

أسئلةٌ بلا جوابٍ أو صدى..

نصّ على لسان مُهاجر:

” مهزومون، مُشرّدون، مقتولون، ومخدولون، شتاتنا كشتات بني إسرائيل، ندفع ضريبة تيه جيلٍ أضلّ جيلاً لا ذنب له إلا أنه أذكي منه عقلاً وأزكى منه قلباً، ألقوا في آتون المحنة، فخرجوا منها رجالاً لم تزيدهم النار إلا نقاوةً ورُشدًا ونُضجًا، فلم يندموا على حربٍ أنضجتهم.

بين فيافي الأرض ومنافيهها، قبورها وسجونها، صارت أقدارنا، لونُ الدماء صار الحقيقة الوحيدة التي لا زيف فيها، قد مللنا الشعارات التي يصبغ بها الشائخون خيبتهم، لقد صرنا شيوخاً في مُبتدأ أعمارنا، بعدما اغتالنا الفقد، وتجرّعنا الخذلان كؤوس عجزٍ ممزوجةً بآلم، بعدما قاتلنا بسنا سيوفٍ من خشب!

الآن نحن هنا، على قارعة الطريق، على هامش النص، وحاشية المتن، في

شتات الأرض نبحت عن وطن، غرباء ضللنا سبيل الخروج، أُخرجنا من ديارنا
على غير رضى منّا بعدما انتهت الجولة

الآن نحن هنا، على قارعة الطريق، على هامش النص، وحاشية المتن، في شتات الأرض نبحت عن
وطن، غرباء ضللنا سبيل الخروج، أُخرجنا من ديارنا على غير رضى منّا بعدما انتهت الجولة، فأدركنا
أننا كُنّا نُقاتل في الجانب الخطأ، وتحت الراية الخطأ، وفي الزمان الخطأ، قاتلوا في جيشٍ بلا قادة،
وقادةٍ بلا فكرٍ، وفكرٍ بلا وحيٍّ، ووحىٍ بلا عقلٍ، وعقلٍ بلا ميزان!

عزأؤنا أننا لم نكن ممن كانوا على هامش المعركة، في محراب الدراويش، أو قوقعة المنظرين، بل صنعنا
تجربة في البداية لتصنعنا هي في النهاية، تحمّلنا الأمانة يوم فرّ منها الفارون، وحملنا الراية في وجه
العاصفة، تكفيننا نياتنا، ورأينا الذي اجتهدناه ولم نألوا، والآن وقد تعلّمنا الدرس، فلنعرف أين نحن
من ذلك العالم الكبير، وكيف يسير؟ والأهم كيف نلج مركزه بدلاً من الهامش الذي لا نبرح أن نكون
فيه ردود أفعال ليس إلا.

في سبيل الخروج من التيه.. الخلاص الفردي

صارت قناعةً لدى كثيرين هنا بأنّ زمان التيه الذي يعيشون فيه ليس للخروج منه سبيلٌ سوى
“الخلاص الفردي”، فهذا زمن الحلول الفردية والتروس الصغيرة، لا الآلة الكبيرة المُرهلة، وإن كان
هناك لا بُد من نظمٍ مُعينٍ للحركة، فسيكون نظامًا لا تنظيمًا، أيّ إطارٍ عامٍ يتفق عليه جيل الشتات
للخروج من نفق التيه، فهم بين منافي الأرض مُشرّدون، ولا مكان يجمعهم، ينطلقون منه كتأسيس
المدينة بعد الهجرة، ولا العالم اليوم هو ذلك العالم المتناهي.

الجِراك الحالي يجب أن يكون جِراكًا فكريًا يُعيد تعريف الذات، وموقعها من
العالم

الجِراك الحالي يجب أن يكون جِراكًا فكريًا يُعيد تعريف الذات، وموقعها من العالم، خارج ضيق
القوالب الأيدلوجية سابقة الصب، يعرفون ما هو العالم الذي يحيون فيه، وكيف يسير، وكيف
ينجّتون على جُدرانها آثار حضارتهم، فما كان شتاتهم إلا لجهلهم، ينبغي أن يكون الجِراك فكريًا لأنّ
الزمن زمن اليأس والهزيمة، ولأنّ مرحلة الجِراك السياسي الذي بدأ بعد ثورات الربيع العربي، قد
أوقفت سيله الثورات المضادة، وانقلبت على تجربته الانقلابات العسكرية والقوى الإقليمية
والدولية، فلم يُعد هناك مُتسع أو أفق لأيّ جِراكٍ سياسي.

ولا يقول عاقل بأنّ الحالة الإسلامية الآن بُزمتها، والإخوان المسلمين بشكلٍ خاص لا تحتاج إلى مثل
هذه الحركة التصحيحية، والعمل التنظيري العميق والطويل لإعادة تعريف نفسها، وتُعيد موضوعة
نفسها من جديد في قلب الحالة الإسلامية والعالم، لتحاول جاهدةً أن ترجع إلى مركز الفعل الوطني
والإقليمي والعالمي بعدما طُردت إلى هامشه، ولن يكون ذلك إلا بتمكين أولئك الشباب المهاجرين

من الضرب في الأرض، والتعزف على العالم، أن يطلبوا العلم ولو في الصين، ولو في بلاد الكفر العاتي! أن يخرجوا من ضيق التنظيم إلى رحابة الأمة، فلا ينبغي أن تحبسهم في دهاليز تنظيمها المترهل، وتُمارس سلطة أبوية ليس لها الحق في ممارستها، فتُعيد عليهم الاستبداد الذي منه فزّوا، وتُحطم ما بقي عندهم من أملٍ في بداية رحلةٍ جديدةٍ من التعلّم من دروس الماضي، ومن المعارك الكبيرة التي خسروها لحدثاة سنهم وعلمهم.

رابط المقال : [/https://www.noonpost.com/16915](https://www.noonpost.com/16915)